الأمم والضمير والعمل الإرسالي (رومية ٢: ١٤ و١٥)

تأليف: دفيد روبر

عند دراستنا للأصحاح ١، رأينا تهمة بولس للأمم، عندما أثبت انهم خطاة يحتاجون إلى بر الله (الآيات ١٨-٣٢). وفي الأصحاح ٢ أوضح بولس أن اليهود أيضاً مذنبين بلا عذر (الآية ١؛ راجع مقدمة الآية ١٧). ولكن قبل أن نحول انتباهنا إلى اليهود، سنخصص درساً واحداً آخر لما قاله بولس عن الأمم[١]. يتركز هذا الدرس على نص قصير، وهو رومية ٢: ١٤ و١٥.

مع أن الأصحاح الثاني يتحدث عن قصورات اليهود الروحية بصفة أساسية، إلا ان بولس يذكر غير اليهود من حين إلى آخر. على سبيل المثال، تقول الآية ٩ انه ستكون هناك «شِدَّةٌ وَضِيقٌ، عَلَى كُلِّ نَفْسِ إِنْسَانٍ يَفْعَلُ الشَّرَّ: الْيَهُودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ الْيُونَانِيِّ». كلمة «اليوناني» هنا تعادل «غير اليهود»، وغير اليهود هم «الأمم».

قال بولس مرة أخرى: «لأَنَّ كُلَّ مَنْ أَخْطَأَ بِدُونِ النَّامُوسِ فَبِدُونِ النَّامُوسِ يَهْلِكُ. وَكُلُّ مَنْ أَخْطَأَ فِي النَّامُوسِ فَبِالنَّامُوسِ يُدَانُ» (٢: ١٢). الذين أخطأوا «بدون الناموس» هم الأمم الذين لم يكن لديهم ناموس موسى. قال بولس أن هؤلاء أيضاً يهلكون بدون الناموس. قد يعترض البعض بان هذا لا يبدو عادلا: «لماذا يهلكون إذا لم يكن لديهم الناموس؟» تكون إجابة بولس هي انه كان للأمم ناموس. لم يكن لديهم ناموس موسى، ولكن كان لهم ناموساً:

> «لأَنَّهُ الأُمَمُ الَّذِينَ لَيْسَ عِنْدَهُمُ النَّامُوسُ، مَتَى فَعَلُوا بِالطَّبِيعَةِ مَا هُوَ فِي النَّامُوسِ، فَهؤُلاَءِ إِذْ لَيْسَ لَهُمُ النَّامُوسُ هُمْ نَامُوسٌ لأَنْفُسِهِمِ، الَّذِينَ يُظْهِرُونَ عَمَلَ النَّامُوسِ مَكْتُوبًا فِي قُلُوبِهِمْ، شَاهِدًا أَيْضًا ضَمِيرُهُمْ وَأَفْكَارُهُمْ فِيمَا بَيْنَهَا مُشْتَكِيَةً أَوْ مُحْتَجَّةً» (الآيتان ١٤ و١٥).

قال أحد الكُتَّاب: «الإنسان الأممي ليس خارج نطاق الناموس، مع انه خارج نطاق ناموس موسى»[٢].

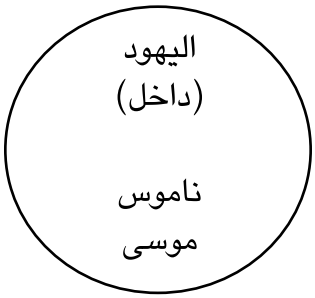

الأمم
(خارج)
«ليس لهم الناموس»-
خارج ناموس موسى
(ولكن لهم نواميس أخرى)

لقد عنوتُ هذا الدرس: «الأمم والضمير والعمل الإرسالي». سنلقي نظرة سريعة أولاً على هذا النص ونضع في الاعتبار علاقة الله مع الأمم. وبعد ذلك نتحدث عن الضمير. قال ستيف باراباس أن «النص الأكثر تنويراً في العهد الجديد عن طبيعة الضمير هو رومية ٢: ١٤ و١٥». (أحد التحديات في دراسة الرسالة إلى أهل رومية هو اننا نجد في كل فقرة تقريباً نص عن اللاهوت - وعادة ما يكون كفكرة جانبية). وأخيراً سننظر في ما إذا كان يجب أن تؤثر الآيتين ١٤ و١٥ على استجابتنا لوصية يسوع لنا بتبشير العالم بالإنجيل.

---

[١] هذه الطريقة اتخذها جي دي تومات في تفسيره بعنوان «Romans» من سلسلة «The Living Word Series»، صفحات ١٤-١٦.

[٢] سي كي باريت في تفسيره بعنوان «A Commentary on the Epistle to the Romans» تم اقتباسه في تفسير ليون موريس بعنوان «The Epistle to the Romans»، صفحة ١٢٥.

كان عند الأمم ناموس

«مَتَى فَعَلُوا بِالطَّبِيعَةِ مَا هُوَ فِي النَّامُوسِ»

لنبدأ بفحص النص. بدأ بولس قائلاً: «لأَنَّهُ الأُمَمُ الَّذِينَ لَيْسَ عِنْدَهُمُ النَّامُوسُ، مَتَى فَعَلُوا بِالطَّبِيعَةِ مَا هُوَ فِي النَّامُوسِ ...» (الآية ١٤). قدم بولس في الأصحاح ١ صورة قاتمة لعالم الأمم. وفي الوقت نفسه لا بد انه كان واضح له وللآخرين انه كانت هناك بعض الاستثناءات. لم يكن كل أممي مذنب بالفساد الجنسي (١: ٢٤-٢٧) أو الخطايا الفادحة (الآيات ٢٨-٣٢). لهذا قال بولس أن بعض الأمم الذين «لَيْسَ لَهُمُ {ناموس موسى} هُمْ نَامُوسٌ لأَنْفُسِهِم».

لم يقل بولس أن الأمم الذي يتحدث عنهم أطاعوا ناموس موسى، لم يستطيعوا أن يفعلوا ذلك لأن لم يكن لديهم الناموس. ومع ذلك فعلوا ما هو في الناموس. أي انهم فعلوا نوع الأشياء نفسها (تبعوا المباديء نفسها) التي أوصى بها ناموس موسى. على سبيل المثال، تقول الوصية الخامسة: «أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ» (خروج ٢٠: ١٢). ويكرم الكثير من الأمم والديهم. وتقول الوصية السادسة: «لاَ تَقْتُلْ» (الآية ١٣)، ومعظمهم يؤمنون أن القتل غير لائق. وتقول الوصية االسابعة: «لاَ تَزْنِ» (الآية ١٤) وكان بعضهم مخلصين لزوجاتهم أو لأزواجهن. والوصية الثامنة تقول: «لاَ تَسْرِقْ» (الآية ١٥) والأغلبية منهم تعتبر السرقة جريمة.

إذا لم تكن لدى الأمم الوصايا العشر، كيف عرفوا أن يتبعوا هذه المباديء؟ قال بولس انهم كانوا يفعلون ذلك بِالطَّبِيعَةِ. قد نقول انهم عملوا طبيعياً ما كان يطلبه الناموس. بحسب ما ورد في معجم «Thayer's lexicon»، كلمة «فوسي φύσει» الواردة في رومية ٢: ١٤ تعني أن الأمم كانوا مرشدين بإحساسهم الطبيعي بما يختص بما هو قويم وملائم.

عند الحديث عن كلمة «طبيعة» كما ورد في رومية ١: ٢٦ و٢٧، رأينا أن كلمة «طبيعة» تفيد بـ«النظام الذي خلقه الله». يعرف الأمم طبيعياً أن هناك بعض الأشياء قويمة وبعضها غير قويم لأنه هكذا خلق الله الناس.

«يُظْهِرُونَ عَمَلَ النَّامُوسِ مَكْتُوبًا فِي قُلُوبِهِمْ»

بعد ما تحدث بولس عن الأمم الذين عملوا «بِالطَّبِيعَةِ مَا هُوَ فِي النَّامُوسِ ...» (روميه ٢: ١٤)، أضاف قائلاً: «... فَهؤُلاَءِ إِذْ لَيْسَ لَهُمُ النَّامُوسُ هُمْ نَامُوسٌ لأَنْفُسِهِم» (الآية ١٤). نتحدث عن بعض الذين هم «ناموس لأنفسهم»، بمعنى انهم لا يعترفون بنواميس الناس ولا بنواميس الله، بل يتبعون فقط ما يمليه عليهم ضميرهم. ولكن لم يكن بولس يقصد مثل هؤلاء الأشخاص. بعد ما قال انهم كانوا «ناموس لأنفسهم»، فسر لماذا كان الأمر كذلك: كونهم «يُظْهِرُونَ عَمَلَ النَّامُوسِ مَكْتُوبًا فِي قُلُوبِهِمْ ...» (الآية ١٥). لم يكن بولس يتحدث عن الذين يتمردون على ناموس الله، بل عن الذين أظهروا بحياتهم أن «عَمَلَ النَّامُوسِ مَكْتُوبًا فِي قُلُوبِهِمْ».

إن عبارة «عَمَلَ النَّامُوسِ» (الآية ١٥) تعني أساساً «مَا هُوَ فِي النَّامُوسِ». ما كان مكتوباً في قلوب هؤلاء الأمم ليس الناموس نفسه، بل «عَمَلَ النَّامُوسِ» – أي العمل الذي يطالب به ناموس موسى.

كلمة «قلوبهم» (كارديا «καρδία») هنا مستخدمة مجازياً (كما هو الحال عادة في الكتاب المقدس) للإشارة إلى الكيان الداخلي: «حيث يكمن الأحساس والدافع والعاطفة والرغبة»، وحتى «مكمن الفكر». كلمة «مكتوباً» مستخدمة هنا مجازياً أيضاً (كما نقول: «الفشل مكتوب على وجهه»). انها تعني هنا كانت هناك معايير اخلاقية ثابتة في قلوبهم كما لو كانت منقوشة فيها بقلم غير مرئي.

عندما قال بولس أن متطلبات الناموس مكتوبة في قلوب الأمم، ربما كان يضع بذلك التباين التالي: كان ناموس اليهود مكتوب في الخارج على «لوحي الحجارة» (خروج ٢٤: ١٢)، بينما كان ناموس الأمم مكتوب في الداخل (أي في قلوبهم).

أظهرت الأمم أن الناموس كان «مكتوباً في قلوبهم» إذ كانوا يعملون بطريقة طبيعية ما هو موصى به في الناموس مع انه لم يكن لديهم الناموس. وبهذه الكيفية أصبحوا ناموس لأنفسهم (كما عبر به بولس).

عندما أكد بولس أن لدى الأمم ناموس، ذكر ثلاثة أشياء (القلب والضمير والفكر) وأوضح عمل كل منها (آية ١٥). ولكن لا يجب أن نظن بان القلب والضمير

والقدرة على التفكير بانها ثلاث أشياء منفصلة ومميزة عن بعضها البعض. وان جميعها هي من وظائف العقل المعطى لنا من قبل الله. (قد نعتبرها كوظائف «ضمائرنا»). لم يكن الهدف الذي من أجله ذكر بولس القلب والضمير والفكر هو تصغير النفس الداخلي، بل كان يصف العملية الداخلية التي فيها يعرف جميع الناس أن هناك بعض الأفعال القويمة والأخرى غير ذلك.

«شَاهِدًا أَيْضًا ضَمِيرُهُمْ»

بعد ما أعلن بولس أن «عَمَلَ النَّامُوسِ» كان «مَكْتُوبًا» في قلوب بعض الأمم، قال بعد ذلك: «شَاهِدًا أَيْضًا ضَمِيرُهُمْ» (٢: ١٥). الكلمة اليونانية المترجمة هنا إلى «ضمير» («سونيدسيس συνείδησις») هي كلمة مركبة من حرف الجر تعني «مع» («سون σύν») وكلمة معناها «يعرف» («أوديا οἶδα»). سواء كان في اللغة العربية أو اليونانية انها تعني «عارف {في نفسه}». هي إدراك {أو وعي} داخلي- ولكن إدراك ماذا؟ الإدراك {أو الوعي} الداخلي بما هو قويم وغير قويم. عند تفسير كلمة «سونيدسيس συνείδησις» استخدم أحد معاجم اللغة اليونانية العبارة «وعي اخلاقي»[٣].

كان برنتس ميدور يتناول ذات مرة الغداء مع صديق غير مؤمن. عندما قدم صديقه هذه الأسباب التي تجعله لا يؤمن بالله، ركل الأخ ميدور رجل صديقه تحت الطاولة. اندهش صديقه ولكنه ظن أن هذا لم يكن متعمداً، فعاد إلى حديثه. ولكن بعد لحظة ركله المبشر مرة أخرى. بعد ما تكرر ذلك عدة مرات، توقف الرجل عن حديثه ثم قال: «لا ينبغي أن تفعل هذا!» فنظر الأخ ميدور في عينيه وسأله «من أينٍ وجدت فكرة: ينبغي {وما لا ينبغي}؟» استخلص قائلاً: «يوجد لكل شخص الاحساس بما يجب وما ينبغي»[٤].

سنتحدث عن الضمير في وقت لاحق. أما الآن، أريد أن أضع التوكيد على أن كل شخص مولود باحساس غريزي أن هناك أشياء «قويمة» وأشياء «غير قويمة». لهذا مهما يعمل الشخص يكون هناك مرشد داخلي «شاهداً» لذلك الشخص بما إذا كان عمل ما قويم أم لا.

عبر بولس عن نتيجة ذلك المراقب الداخلي كما يلي: «... وَأَفْكَارُهُمْ فِيمَا بَيْنَهَا مُشْتَكِيَةً أَوْ مُحْتَجَّةً[٥]» (الآية ١٥). إذا استخلص ضمير الشخص أن الشخص قد أخطأ يشتكي له فكره {أي يتهمه} (راجع ١٣: ٥). ونسمي هذا «الشعور بالاثم». أذا رأى ضمير الشخص انه يعمل الصلاح، سيدافع عنه فكره (راجع ٩: ١). ونسمي هذا «ضمير صالح».

ربما لاحظت أن هناك مصطلحات قانونية مستخدمة في رومية ٢: ١٥: «الناموس/الشريعة»؛ «شاهداً/يشهد»؛ «مشتكية/تتهم»؛ «محتجة/تدافع». يبدو أن المشهد هنا في قاعة المحكمة. في هذه المحكمة يلعب الضمير دور القاضي والشاهد وهيئة المحلفين - يصدر الحُكم حالاً. ومن ثم يعمل كمنفذ الحكم. كتب ألفرد تنيسون ما يلي:

> يشهد أبداً عن
> محكمة عدل صامتة في صدره،
> هو نفسه القاضي وهيئة المحلفين،
> وهو نفسه المحبوس في قفص المحكمة.[٦]

كان بولس يوضح مرة أخرى الإثم الشامل للإنسان. لدى الناس في كل مكان مقياس ما يعملون به في الحياة. كتب سي أس لويس أن: «جمع البشر في كل الأرض لديهم هذه الفكرة الغريبة بانه عليهم أن يتصرفوا بطريقة معينة، ولا يستطيعون التخلص من

---

[٣] من معجم والتر باور بعنوان «A Greek-English Lexicon of the New Testament and Other Early Christian Literature»، الطبعة الثانية، صفحة ٧٩٤.

[٤] برنتيس ميدور جونيور في موعظة إلقاها في كنيسة المسيح في مدينة دالاس بولاية تكساس الأميركية.

[٥] الكلمة المترجمة في هذه الآية إلى «محتجة» معناها «تُدافِع» أو «تُبْرِئ».

[٦] ألفرد تنيسون في قصيدته بعنوان «Sea Dreams» من كتاب «The Works of Tennyson». صفحة ١٥٥. كان تنيسون (١٨٠٩-١٨٩٢) شاعر إنجليزي مشهور في زمانه.

هذه الفكرة»[٧]. يعمل الناس أحياناً بحسب هذا المعيار، ولكن أحياناً أخرى لا يعملون به. في حالة عدم العمل به، يدانون من قبل أنفسهم. ونتيجه لذلك يعترفون بحاجتهم إلى الخلاص.

تلخيص

قبل ما ننتقل إلى مسائل ذات الصلة بهذا، لنلخص ما قد تعلمناه عن علاقة الله مع الأمم على مر السنين – ولماذا أصر بولس على أن الأمم يحتاجون إلى ذبحية يسوع. وضع بولس التوكيد في الأصحاح الأول من الرسالة إلى أهل رومية على أن الله لم يترك عالم الأمم بدون شهادة/اعلان. عندما درسنا ذلك الأصحاح ذكرنا أن الله كان قد كشف عن نفسه لغير اليهود بعدة طرق. يشمل ذلك الاعلان الذي يُعْتَبر «تقاليد الأباء» والى الحاجة إلى تقديم ذبائح. حتى وإن كان ذكرى تلك التقاليد قد أصبح معتماً، ظلت للأمم برهان عن الإله في العالم المخلوق (١: ١٨-٢٠). في الأصحاح الثاني أضاف بولس أن غير اليهود عملوا ببعض مباديء السلوك الاخلاقية لناموس موسى لأن الله اعطاهم الضمير. يمكن إجراء المقارنة أو التباين بين شريعة اليهود والشريعة التي لدى الأمم كما هو موضح في الجدول أدناه.

[٧] ورد هذا الاقتباس في تفسير بروس بارتون ودفيد فيرمان ونيل ويلسون بعنوان «Romans» من مجلد «Life Application Bible Commentary»، صفحة ٥١.

قال جي دي توماس انه «ما من إنسان بلا شريعة أبداً أمام الله!». لو كان اليهود قد حفظوا شريعتهم كامل الحفظ، لما احتاجوا إلى الخلاص. ولو كان الأمم قد طبقوا شريعتهم بإخلاص لما احتاجوا إلى موت يسوع على الصليب من أجلهم. الحجة التي قدمها بولس في الأصحاحات الأولى من الرسالة إلى أهل رومية هي أنه لم يعش أي منهم بحسب النور الذي أعطاهم الله إياه. لهذا يحتاج الجميع دائماً (يهوداً كانوا أم أمم) إلى بر الله!

لكل شخص ضمير

الذين «بلا ضمير»؟

قبل ما نترك رومية ٢: ١٤ و١٥، أريد أن أقول بعض الكلمات عن الضمير. يجد المفسرون صعوبة في تفسير الضمير، ولكن لا توجد هذه المشكلة عند لإنسان العادي. يقول معظم الناس: «طبعاً أنا أعرف ما هو الضمير! انه شيء في داخلي يجعلني أشعر بأسف عندما أخطيء». ربما تعلم ما أقوله هنا.

لقد قلتُ سابقاً أن كل شخص مولود له إحساس طبيعي على أنه توجد أشياء قويمة وأخرى غير ذلك. ولكن قد لا يكون عند البعض أي وخز للضمير، الذين (يبدون للجميع) انهم «بلا ضمير». كتب بولس في مكان ما أنه قد يوسم {أي «يكتوي» أو «يقسي»} الشخص ضميره (راجع ١ تيموثاوس ٤: ٢) فيكف عن وظيفته. قد يكتوي الشخص ضميره بالرفض الدائم للاستماع

شريعة اليهود	العلاقة	«شريعة» الأمم
شرائع الطقوس تقديم ذبائح عبادة	نحو الله	تقاليد الأباء تقديم ذبائح
قواعد اخلاقية الوضع المدني	نحو الآخرين	قواعد اخلاقية الاحساس بما هو قويم وغير قويم
ضوابط شخصية ضمير	نحو الشخص نفسه	ضوابط شخصية ضمير

إلى صوته، حتى في النهاية يكتم ذلك الصوت. سنرى في درسنا للأصحاحين ١٤ و١٥من الرسالة إلى أهل رومية انه لا يجب على الشخص أن ينتهك ضميره[٨] أبداً. كلما ينتهك الشخص ضميره، يجعل ضميره أقل فعالية. وعندما يعمل هذا بصفة مستديمة فانه يدمر بذلك الوقاية المعطاة من قبل الله.

«إجعل ضميرك مرشك»؟

لأن بولس يعلم أهمية الضمير وضرورة عدم انتهاكه، يستخلص البعض انه كل ما يجب على الشخص عمله هو أن «يعيش بحسب ما يمليه ضميره». هناك فلسفة تُسمى عادة في بعض الأماكن في العالم، وهي «دع ضميرك دليلك». بينما لا يجب أن نسيء إلى ضمائرنا، لا ينبغي ان نستخلص أن الضمير بحد ذاته مرشد معصوم. عندما اضطهد بولس المسيحيين، فعل ذلك بضمير صالح (راجع أعمال ٢٣: ١؛ ٢٦: ٩).

لا يكفي أن يكون الضمير وحده المرشد في المسائل الاخلاقية والدينية لأنه محدود بالمعرفة المتاحة له. يخبرنا الضمير بصفة شخصية أن هناك فرق بين ما هو قويم وما هو غير قويم، ولكن ما يعتبره ضمير الشخص قويماً أو غير قويم يتوقف بنسبة كبيرة على ما قد تعلمه ذلك الشخص. يعبد الكثير من الناس الأوثان، أو يمارسون تعدد الزوجات، ولا يبكتهم ضميرهم، لأن هذا ما تعلموا.

قارنتُ في وقت سابق الضمير مع القاضي والشاهد وهيئة المحلفين ومنفذ الحكم – متحدين في واحد. ليس من وظيفته أن يسن القوانين، بل القصد منهم هو أتطبيق القوانين. هكذا أيضاً الضمير يمثل سلطة قضائية وتنفيذية وليس تشريعية. ليس له إلا أن يضع الشرائع الروحية والاخلاقية المتاحة له موضع التنفيذ. يقال أن «الضمير هو مرشد آمن بقدر ما هو مرشد بأمان» – أي مرشد بأمان بتعليم كلمة الله.

[٨] لم ترد كلمة «ضمير» في الأصحاحين ١٤ و١٥، ولكن المفهوم هو قلب الكثير ما قاله بولس (راجع رومية ١٤: ١٤ و٢٣).

المحافظة على ضمير بريء

قال بولس عند دفاعه أمام الوالي فيلكس: «لِذلِكَ أَنَا أَيْضًا أُدَرِّبُ نَفْسِي لِيَكُونَ لِي دَائِمًا ضَمِيرٌ بِلاَ عَثْرَةٍ مِنْ نَحْوِ اللهِ وَالنَّاسِ» (أعمال ٢٤: ١٦). كان اليونانيون يستخدمون الكلمة اليونانية المترجمة هنا إلى «أُدَرِّبُ نَفْسِي» للإشارة إلى فترة التدريب القاسي الذي يمر بها الرياضيون إعداداً للمنافسة. تأمل في جدول عمل مرهق وتدريب شديد للرياضي الجاد. كان بولس يجتهد بهذا القدر «لِيَكُونَ {له} دَائِمًا ضَمِيرٌ بِلاَ عَثْرَةٍ». ههنا بعض الاقتراحات للتأكد من أن ضميرك يعمل بطريقة سليمة:

- كن جاداً بما يختص بدراسة كلمة الله.
- كن جاد بخصوص الخطيئة (تعلم ما هو القويم وما هو غير قويم).
- كن جاداً بخصوص قبول ما يقوله الكتاب المقدس عن الخطيئة.
- كن جاداً بخصوص الاصغاء إلى ضميرك.
- كن جاداً بخصوص تصليح الأمور عندما يخبرك ضميرك بانك أخطأت.
- وفوق كل شيء كن جاد بخصوص المحافظة على «ضمير صالح». عندما يخبرك ضميرك بانك أخطأت، تب عن خطيئتك وتعال إلى الرب ليطهرك (راجع عبرانيين ٩: ١٤؛ ١٠: ٢٢).

توجد لجميع الناس حاجة

سؤال

علينا أن نتعامل بمسألة واحدة أخرى تتعلق برومية ٢: ١٤ و١٥. عندما كنتُ ولداً، سمعت شخص كبير في السن ذات مرة يقول: «ماذا عن الذين يعيشون في بلاد أخرى ولم يسمعوا الإنجيل قط؟ هل يضلون مع انه لم تتح لهم الفرصة ليتعلموا عن يسوع؟» يتم التعبير بهذا الرأي أحياناً: «لا شك انهم إذا عملوا كل ما بوسعهم بما لديهم، سيخلصهم الله!». وكان رومية ٢: ١٤ و١٥ تستخدم أحياناً لدعم تلك الخلاصة. مثل هذا الموقف جعل بعض الناس لا يهتمون بالذهاب إلى بلاد أخرى من أجل العمل الإرسالي.

أرجو ألا نتجاسر بأن نضع أنفسنا مكان الله. الله وحده، وليس نحن، هو الذي يقرر من الذي يخلص ومن الذي لا يخلص. في هذا الأمر، كما في جميع الأمور الأخرى نعلم أن قاضي كل الأرض سيعمل ما هو قويم (راجع تكوين ١٨: ٢٥). وفي الوقت نفسه، يمكننا أن نتحدث بطريقة قانونية عما إذا كانت رومية ٢: ١٤ و١٥ تعلم أن الناس اليوم قد يخلصون بدون الإنجيل طالما «يعملون كل ما بوسعهم بما لديهم». أني لا اعتقد أن هذا النص يعلم هذا. دعني أقدم الأسباب التي جعلتني أتوصل إلى هذه الخلاصة.

حالة في العهد القديم، وليس ترتيب في العهد الجديد

في المقام الأول، إن خلفية مقارنة بولس بين اليهود والأمم هي حالة من العهد القديم وليس بترتيب العهد الجديد. قال دوغلاس موو أن بولس وصف في رومية ١: ١٨ إلى ٣: ٢٠ «الفترة الزمنية التي سبقت المسيح». قبل مجيء المسيح تعامل الله مع اليهود (الذين كان لهم ناموس مكتوب) بطريقة مختلفة من تعامله مع الامم (الذين لم يكن لهم ناموس مكتوب). ولكن لما جاء المسيح ...

> ... جَعَلَ الاثْنَيْنِ {اليهود والأمم} وَاحِدًا، وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ {المتمثل في الناموس} ... مُبْطِلاً بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ، لِكَيْ يَخْلُقَ الاثْنَيْنِ {اليهود والأمم} فِي نَفْسِهِ إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا، صَانِعًا سَلاَمًا، وَيُصَالِحَ الاثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ {الكنيسة؛ أفسس ١: ٢٢ و٢٣} مَعَ اللهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلاً الْعَدَاوَةَ بِهِ (أفسس ٢: ١٤-١٦).

الآن في المسيح «لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ {أممي}». لأن الجميع «وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (غلاطية ٣: ٢٨). التعليم بان بعض الناس يخلصون في يومنا هذا على أساس الإيمان بيسوع ، وآخرون يخلصون على أساس آخر (يعملون كل ما بوسعهم) هذا يعارض «الإيمان الواحد {تعليم}» العهد الجديد (أفسس ٤: ١-٦).

دينونة وليس خلاص

في المقام الثاني (والأكثر أهمية)، نجد بولس في رومية ٢: ١٤ و١٥ (وسياقه)، يكتب عن الدينونة وليس عن خلاص. لم يكن يقول أن بعض الناس كانوا يعيشون بحسب ما لديهم من دليل، ولهذا سيخلصون. بل كان يشدد على أنه لم يكن هناك أحد يعيش بحسب الحق الذي لديهم، ولذلك ضل الجميع (راجع الآية ١٢). كتب ريتشارد باتي ما يلي:

> لم يتحدث بولس عن أي رجاء للوثني الصادق والحي الضمير الذي يعمل كل ما بوسعه بمعزل عن الإنجيل. لو كان بولس يعتبر أن الوثني بإخلاصة يكون مقبولاً لله، لكان قد قلل ذلك من غيرته للعمل التبشيري تقليلاً كبيراً[٩].

كان بولس يؤكد أن جميع البشر (يهوداً كانوا أم أمم) ضالين بدون المسيح. هناك فكرة خاطئة شائعة بان الناس ضلوا «لأنهم رفضوا الإنجيل». كلا، ليس الأمر هكذا. ضل الناس «لأنهم خطاة». عندما يعلم كريس بولارد عن هذا، يخبر عن رجل لدغته أفعى الجلجلة[١٠]. فأخذه أصدقاءه سريعاً إلى مركز طبي لحقنه بترياق ، ولكنهم لم يصلوا به إلى المركز الصحي. لأن الرجل قد مات. يسأل الأخ بولارد: «هل مات هذا الرجل لأنه لم يحصل على الترياق؟» قد يكون الجواب الالفطري هو بنعم. فيقول: «كلا، لقد مات بسبب لدغة الافعى! هكذا أيضاً، إذا ضل الشخص، فيكون سبب ضلاله هو خطيئته.

لم يأتي يسوع إلى هذا العالم بالإنجيل لكي يقبله الناس أو يرفضونه، فيخلصون أو يضلون. كلا، بل جاء لأن البشر ضلوا جميعاً (لوقا ١٩: ١٠) و إن لم يمت على الصليب فهم يكونون بلا رجاء (أفسس ٢: ١٢)! علق جي دي توماس على الفكرة القائلة انه قد يحصل

---

[٩] ريشارد أي باتي في تفسيره بعنوان «The Letter of Paul to the Romans» من مجلد «The Living Word Commentary»، صفحة ٣٨.

[١٠] كريس بولارد في موعظته بعنوان «A Universe in Reverse» التي ألقاها في كنيسة المسيح في مدينة أوفرلاند بولاية كنساس الأميركية في ١٠ فبراير سنة ١٩٩١.

شخص ما في يومنا هذا على الخلاص بمعزل عن الإنجيل:

> في هذا المشهد، ... تكون الطريقة الأفضل لخلاص كل العالم هي أن يزداد الجميع في الجهل. أحرق الكتب المقدسة ولا تسمح لأي شخص أن يذكر شيء عن رسالة الإنجيل، فيخلص جميع البشر بالجهل! طبعاً هذا بُطْلان، ولكنه معقول.

لا يمكن وضع التوكيد أكثر مما ينبغي على تعليم الكتاب المقدس القائل أنه سواء سنحت للشخص فرصة لأن يسمع الإنجيل أم لا، انه ضال في خطاياه بدون المسيح (أفسس ٢: ١)! عنونتُ هذا الجزء بـ«توجد لجميع الناس حاجة». وتلك هي الحاجة إلى إنجيل المسيح! أقول مرة أخرى، أن الله وحده هو الذي يقضي في هذا الأمر؛ سيصنع القرار الأخير بخصوص من يخلص ومن يضل. وفي الوقت نفسه، بما يختص بالأسفار المقدسة، ليس لدينا الحق باعتبار أي شخص بانه في حالة خلاص إن لم يكن قد سمع الإنجيل وعمل به (راجع ٢ تسالونيكي ١: ٨؛ ١ بطرس ٤: ١٧). إذن بدلاً من البحث عن الأعذار لكي لا نأخذ رسالة الإنجيل إلى العالم الضال والهالك، علينا أن نبحث عن طرق لنخبر بها جميع الناس في كل مكان عن قصة يسوع!

الخلاصة

عند دراستنا لأفكار الشخص بانها «تتهمه تارة، وتارة تدافع عنه» (رومية ٢: ١٥)، ربما عرفت ما كان يقصده بولس. لا شك انك «سمعت» ضميرك يقول «مذنب! مذنب!» لا يوجد خطأ في هذا. لأنه يبين أن ضميرك في حالة جيدة. ولكن عندما يملأ الإثم نفسك، ماذا يجب أن تفعل؟

الحل الذي يقدمه الكتاب المقدس عن الذنب هو التخلص منه إلى الأبد بدمِ يسوع المسيح. كتب أحد الكتاب الموحى إليهم قائلاً: «فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ بِلاَ عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللهَ الْحَيَّ!» (عبرانيين ٩: ١٤). دم المسيح يطهر ضمائرنا عندما نخضع إليه، «مَرْشُوشَةً قُلُوبُنَا مِنْ ضَمِيرٍ شِرِّيرٍ، وَمُغْتَسِلَةً أَجْسَادُنَا بِمَاءٍ نَقِيٍّ» (عبرانيين ١٠: ٢٢). يوافق معظم المتخصصون في دراسة الكتاب المقدس على أن العبارة «غسل الجسد بماء نقي» تشير إلى المعمودية. ربط بطرس بين تطهير الضمير والطاعة الواثق عندما أشار إلى المعمودية على انها «سُؤَالُ ضَمِيرٍ صَالِحٍ عَنِ اللهِ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (١ بطرس ٣: ٢١).

مذكرة للمبشرين والمعلمين

عند ختام هذا الدرس ركزتُ على الذين لم يعتمدوا بعد. ربما تريد أن تشمل في دعوتك المسيحيين الذين لديهم احتياجات روحية. يعاني الكثير من المسيحيين أيضاً من ضمائر مذنبة (البعض منهم لأنهم لا يريدون أن يتوبوا وآخرون لأنهم لم يدركوا أبداً مدى روعة غفران الله. يستمر دم يسوع يطهرنا من خطايانا إن شئنا أن نسلك في النور (١ يوحنا ١: ٧؛ راجع آية ٩).

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩